مقدمة

هل يمكنك أن تتصور شقيقين صغيرين يتشاجران؟ يقف الوالدان منتظرين بقليل من الخوف في الوقت الذي يهزان رأسيهما ويبديان هذه الملاحظة: «هذان الطفلان مختلفان جداً. إنهما لا يتفقان، بل نادراً ما تكون نظرتهما إلى الأمور متشابهة، يبدو كما لو أنهما يغيظان بعضهما باستمرار».

وقد يتساءل الوالدان فيما إذا كان سبب هذه المنافسة غيرة دفينة أو أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد عملية اختبار للإدارة يقوم بها ولدان مفعمان بالحيوية، تماماً كما يفعل أشبال الأسد.

أنا وشارون والدان لأربعة أبناء وثلاث بنات. بالطبع عددت كل أولادي متميزين ولديهم طاقة عظيمة. وقد أثبتوا مع مرور الزمن أن ستة من هؤلاء الأطفال كانوا ينسجمون بشكل ثنائي: البنت الكبرى مع الابن الأكبر، ثم الابنتان ثم الابنان. وبعد مدة ست سنوات انضم إلى الأسرة ابننا الأصغر. أظهر الابنان في عمر مبكر جداً ميولهما الفريدة تجاه الحياة، وبدا وكأن واحداً منهما يمكن أن يكون مهندس المستقبل لأمريكا. فرغم حبه للعب الصاخب، كان رجل الحل المنطقي للمشكلات ومهندس إبداعات مذهلة في الخشب والورق المقوى. أما الابن الآخر فقد

obeikandl.com

أحب كرة القدم كثيراً ودراجته طراز /BMX/. هذان الاثنان تشاجرا وأغاظ كل منهما الآخر، لكنهما عندما يتعلق الأمر بمشاريع محددة، يصبحان فريقاً واحداً متناسيين ما كان بينهما. المهندس الشاب يخطط ولاعب الكرة ينفذ وينقل المواد بحيث يتمان العمل. في شخصيتيهما المتعارضتين كانت هناك قوة، قوة مكملة يطلقونها حالما يمران بما يبدو غالباً على أنه نزاع.

قوة الأضداد:

بنى هذان الولدان بتضافرهما بيتاً فوق شجرة في قعر نهر جاف قرب منزلهما وذات مساء صادف أن سمعتهما يمرحان بصخب فرحَيْن بإنجازهما. فجأة اقتحم الباب الأمامي أحد أصدقائهما المخلصين وصاح: تعاليا بسرعة هؤلاء الأطفال الذين يسكنون في آخر الشارع يعبثون ببيتكما فوق الشجرة. إنهم سيهدمونه. هيا لنذهب. علينا إيقافهم. «نعم لنذهب ونمسكهم»، صاح الغر المتشوق للشهرة. أما المهندس الشاب فقد وقف مفكراً وسأل: «هل هم كبار الحجم؟». أحدهما كان مستعداً للتحرك والذهاب للقيام بشيء ما حيال هؤلاء دون تفكير، أما الآخر فقد كان لديه حسن الإدراك والعقل ليفكر فيما إذا كان باستطاعتهما البقاء أحياء بعد المواجهة. هذه هي قوة التضاد بلون ينبض بالحياة. الأفضل بالنسبة لهما «تسوية خلافاتهما والتغلب عليها». كانت لديهما الفرصة الأكبر لتسخير الطاقة داخل شخصيتيهما الفريدتين ليحققا اندماجاً للأفكار والموهبة. الآن هذان الأخوان هما رفيقان عظيمان ومازالا ثنائياً مبدعاً ذا مواهب متكاملة.

سمة القيادة:

التعرف على القوة الكامنة في الأضداد شرط لازم للصحة العقلية للأبوين ومؤشر مهم على أن أي قائد قادر على تجاوز النزاع لإيجاد ذلك الاندماج في الأفكار والمواهب التي هي ناتج طبيعي للتنوع الإنساني. أروع القاعدة يصبحون ما أسميه «أسياد الثنائيات» Masters of Dichotomies وتعريف القاموس لكلمة Dichotomies هو: انقسام الأشياء إلى مجموعتين يمكن أن تكون أو يبدو أنهما متنافران كل منهما يقصي الآخر. عبقرية القائد العظيم تكمن في إيجاد الأرضية المشتركة التي تصبح أساساً لدمج ذرات الطاقة الإنسانية التي تولد قوة لم نتوقعها سابقاً. تصبح الأرضية المشتركة قاعدة لإيجاد رابط مشترك حيث تجتمع الأفكار التي كانت متنافسة ذات مرة لإحداث تأثير مضاعف.

وهنا بعض الأمثلة على تصميم قادة الثنائيات واتحادهم لتحرير طاقة جديدة.

كن مرناً	كن حازماً
كن لطيفاً ومحباً	كن قوياً وصلباً
ينبغي أن تثق بالآخرين وتفوضهم	ينبغي ألا تترك شيئاً لمصادفة
قدر العمل الجماعي	قدر الاعتماد على النفس
ينبغي أن تكون منفتحاً على رأي الآخرين	يجب أن تكون حاسماً
جد التوازن والسلام	جد التركيز والشدة لتجعلهما واقعاً
اتبع	كن قائداً
أظهر الصبر	أظهر التصميم
كن قنوعاً	كن رجل إنجاز
كن متواضعاً	كن قوياً

obeikandl.com

الرجاء دراسة الجدول السابق. في البداية تظهر الأفكار في جانب من الجدول معاكسة للأفكار في الجانب الآخر. وضمن كل زوج متطابق من الأفكار تبدو الفكرة في الجانب الأيسر متعارضة مع الفكرة في الجانب الأيمن لتلغي شرعيتها. في الحقيقة إن القوة الفعلية لهذه الأفكار هي في اكتشاف التوتر الإيجابي الذي يوجد بين الضدين. وهنا يكمن السر في الطاقة الأكبر التي يمكن إطلاقها في الوقت الذي نحقق مصالحة بين الثنائيات وصهرها معاً. اسأل متفائلاً: كيف يمكنك أن تكون قوياً ومتواضعاً معاً؟ يجيب المتفائل الحقيقي المشوب بالحكمة «نعم» وتجيب أنت. ماذا تقصد بـ «نعم»؟ الجواب، «لا» أعرف دائماً كيف يكون ذلك ولكن أعرف أنني لا بد أن أجد طريقة لأنني أقدر القوة والتواضع كليهما، ولن أختبر قوة هذه الفضائل بعضها مقابل بعض. إنني سأجد طريقة للتوحيد فيما بينهما. سأكون قوياً في تصميمي على تحقيق هذا الأمر ومتواضعاً في معرفتي أنني أحتاج الآخرين لمساعدتي على النجاح. ستأتي أعظم قوة لي عندما لا يخافني زملائي بل ينهضون لمساعدتي بإيماني أنهم أروع مصدر للقوة التي تحقق الأشياء وإيماني بأن أساعدهم على أن يتحدوا في السعي المشترك نحو أهدافنا. هذه هي القيادة الحقيقية. كتاب «النزاع الإيجابي» يوضح المبادئ التي تساعدك على تسخير قوة التضاد وتحويل الصراع لمصلحتك التي هي فائدة متبادلة تأتي بالعمل سوياً. إنك تحول النزاع إلى إبداع.